

مقاله

الانحدار المتسارع للإمبراطورية الأميركية

وليد شرارة

المواجهة السياسية والدبلوماسية الدائرة في أروقة الأمم المتحدة بين الولايات المتحدة والغالبية الساحقة من دول العالم، حول قرار الرئيس الأميركي المتعلق بالقدس، لا سابق لها في التاريخ الحديث. للمرّة الأولى، تجد واشنطن نفسها معزولة بشكل شبه كامل عن بقية أعضاء ما يسمّى المجتمع الدولي. من الصحيح أن دولاً وازنة، وبعضها من الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة، سبق أن عارضت بقوة السياسات الأميركية في الماضي. فعندما قررت إدارة بوش الابن شنّ الحرب على العراق، عارضت فرنسا وألمانيا، حليفنا واشنطن، إلى جانب روسيا هذا القرار بحزم، وألقى وزير الخارجية الفرنسي آنذاك دومينيك دو فيليبان خطابه الشهير في نيويورك، محذراً من نتائج الحرب على الاستقرار الإقليمي والعالمي. لكننا اليوم أمام مشهد مختلف. لم تنجح إدارة ترامب في إقناع أقرب الحلفاء، كبريطانيا، بصوابية قرارها حول القدس. أي تأمل موضوعي نسبياً ومنزّه عن الانحيازات الأيدولوجية البدائية وعن الرغبة في عدم الإقرار بالحقائق البديهية حتى لا يستفيد منها الخصوم، ينبغي أن يخلّص إلى أننا أمام انحسار فعلي للنفوذ السياسي الأميركي.

الهيمنة الأميركية على العالم قامت على عدّة مرتكزات، أبرزها التفوّق العسكري النوعي على بقية دول العالم، وانتشار القواعد الأميركية عبر العالم، والسيطرة على أغلب مصادر الطاقة، وكذلك بناء التحالفات العسكرية والسياسية مع دول محورية على قاعدة مشتركات مصلحة وأيدولوجية/سياسية بينها وبين واشنطن. القطب الأميركي هيمن من خلال قدراته الصلبة العسكرية والاقتصادية، ولكن أيضاً من خلال قدرته على جذب وإقناع حلفاء باعتباره نموذجاً لهم أو على الأقلّ نظاماً سياسياً شبيهاً لهم إلى حدّ ما. ما هي حال جاذبية الولايات المتحدة اليوم بالنسبة إلى بقية دول العالم؟ نجح أوباما خلال رئاسته في ترميم جزئي لهذه الجاذبية، بعد أن كان بوش الصغير قد أضعفها، لكن دونالد ترامب يقوم، مشكوراً، بتقويضها مجدداً. وهو اختار سياق المعركة الحالية حول القدس ليعلن استراتيجيته للأمن القومي. هذه الاستراتيجية التي يعتبر بعض المعلقين الأميركيين أنها إعلان نيّات أكثر منها استراتيجية بالمعنى الفعلي للكلمة، بسبب عدم تناسب أهدافها المعلنة مع القدرات الأميركية، إن وُضعت موضع التنفيذ فسُتدخل العالم في سلسلة من التوترات والأزمات تؤدي في مجملها إلى تعاظم الهوة بين أميركا وحلفائها. هي تحدّد مجموعة من الأعداء، تسميهم، لاعتبارات دبلوماسية، خصوصاً أو «قوى ساعية لإعادة النظر بالنظام الدولي» Revisionist powers. أبرزهم الصين وروسيا على المستوى العالمي، وإيران وحلفاؤها على مستوى الشرق أوسطي. وتعلن، وهذا هو الأهم، عن نيّتها تطوير القدرات العسكرية الأميركية بشكل يحافظ على تفوّق نوعي «لا يمكن مضاهاته» (superiority that cant be overmatched). وإذا ربطنا بين هذا الهدف الأخير وبين المشروع المعلن لوزير الدفاع جيمس ماتيس، منذ وصوله إلى منصبه، لتطوير القدرات العسكرية، وبشكل خاص لبناء قاذفات استراتيجية جديدة، وكذلك لتحسين القدرات العسكرية التقليدية في مجال الأنظمة المضادة للصواريخ وأنظمة الرادار والحرب المعلوماتية، وهي موجّهة ضد روسيا أساساً، ولتحديث القوة البحرية وهي موجّهة ضد الصين، يصبح من الواضح أننا أمام مشروع أميركي لإعادة إطلاق سباق التسلّح مع قوّتين دوليتين صاعدين، روسيا والصين، لن تترددا في حوض غماره حفاظاً على أمنهما ومصالحهما الحيوية. وقد سبق للرئيس فلاديمير بوتين أن حذّر، في خطاب ألقاه في شهر كانون الأول عام 2016، أي قبل وصول ترامب إلى السلطة، الولايات المتحدة من مغبة استمرارها في السعي إلى التفوّق في مجال الأسلحة التقليدية، لأن هذا الأمر يشكّل برأيه «خطراً على العالم». وفي الفترة نفسها، أصدر الجيش الروسي بياناً يعلن فيه أن جميع قوّاته البريّة والبحرية والجويّة باتت مجهزة بأسلحة نووية تكتيكية.

إدخال العالم في سباق تسلّح محموم، وافتعال أزمات خطيرة، كما يجري الآن في شبه الجزيرة الكورية أو بالنسبة إلى المشروع النووي الإيراني أو بالنسبة إلى القرار حول القدس، ليس في مصلحة القسم الأغلب والأوزن من حلفاء الولايات المتحدة. ستثير هذه السياسات خلافات حقيقية بينهم وبين واشنطن، كما اتضح من موقف الدول الأوروبية من قرار أميركي محتمل بإلغاء الاتفاق النووي مع إيران أو كما يظهر الآن بالنسبة إلى القرار حول القدس. ستؤسس هذه الخلافات بالتأكيد لتقاطعات، وربما حتى لتعاون، بين هذه الدول الحليفة وخصوم الولايات المتحدة لإيجاد مخارج مناسبة لمصالحهم المشتركة، بمعزل عن رغبات واشنطن. تراجع القوة الأميركية مستمر على صعيد عالمي، وهذا خبر مفرح!

البحرين: من غير المفيد مواجهة واشنطن

قال وزير الخارجية البحريني، خالد بن أحمد، في تغريدة على موقع «تويتر» أمس، إن «من غير المفيد الدخول في معركة مع الولايات المتحدة بشأن قضايا جانبية»، مضيفاً أنه لا ينبغي مواجهة أميركا في وقت «نحارب فيه جميعاً الخطر الواضح والحقيقي للجمهورية الفاشية الإسلامية».

ورداً على التغريدة، قالت حركة «الجهاد الإسلامي»، إن «وزير الخارجية البحريني نموذج للتهويد الثقافي الذي أصاب عقول المنحرفين والمتصهينين».

بعد ذلك، عاود الوزير البحريني التغريد، قائلاً: «نحن بحاجة إلى حماية وطننا أولاً... بعد ذلك يمكننا أن نلعب دورنا في حل النزاع العربي الإسرائيلي من خلال تحقيق حل الدولتين مع القدس الشرقية عاصمة فلسطين المستقلة كاملة السيادة».

(الأخبار)

أما حركة «الجهاد الإسلامي»، فقالت إن «علينا استثمار القرار الأممي في عزل إسرائيل ومقاطعتها والتصدي للهيمنة الأميركية»، داعية الشعب الفلسطيني إلى «تصعيد انتفاضته واستمرار الغضب في كل مكان». وفي إطار متصل، ثمّنت «حماس» قرار حزب «المؤتمر الوطني الأفريقي» الحاكم في جنوب أفريقيا تخفيض مستوى التمثيل الإسرائيلي لديها من سفارة إلى «مكتب اتصال».

على الصعيد الميداني، لا تزال المواجهات مستمرة لليوم الثامن عشر في الضفة والقدس، مع توقع زيادتها اليوم، وخاصة بعد صلاة الجمعة. وأصيب أمس العشرات بالاختناق والرضاض المطاطي في مدن رام الله والخليل وقلقيلية ونابلس. وذكرت «جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني» أن طواقمها تعاملت مع نحو 30 إصابة في مواجهات مختلفة. كما شنّ العدو حملة اعتقال وملاحقة لمطلوبين عبر اقتحامات رسمية أو قوات خاصة ومستعربين.

في ذلك، ترأس أمس رئيس حكومة «الوفاق الوطني» رامي الحمدالله، في مكتبه في رام الله، اجتماعاً لقيادة الأجهزة الأمنية، وذلك لـ«بحث آخر التطورات في مختلف المحافظات، والاطلاع على آخر التقارير الميدانية».

(الأخبار)

ترامب على موقفه المطلق». وقبل عقد الجلسة، وصف نتنياهو الأمم المتحدة بأنها «بيت أكاذيب»، قائلاً إن القدس عاصمتنا وسنواصل البناء هناك وستنتقل السفارات الأجنبية، تتقدمها الولايات المتحدة، إلى القدس. سيحدث هذا».

وخلال الجلسة، هاجم المندوب الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة، داني دانون، الدول الأعضاء، بالقول إن «الجمعية العامة احتاجت إلى 16 عاماً لكي تتراجع عن قرارها المندد باليهودية، وليس عندي أدنى شك بأن قرار اليوم سينتهي في مزبلة التاريخ».

في المقابل، قال بيان عن الرئاسة الفلسطينية إن «تمرير قرار القدس يعبر مجدداً عن وقوف المجتمع الدولي الذي لم يمنعه التهديد والابتزاز إلى جانب الحق الفلسطيني»، فيما قال كبير المفاوضين الفلسطينيين، صائب عريقات، إن القرار بشأن القدس «يعني أن إعلان ترامب لاغ وباطل»، مضيفاً أن ما حدث «اعتبار كرامة جميع دول العالم ومنظومتها القانونية التي أهانتها الولايات المتحدة وحاولت ترهيبها ورشوتها وابتزازها». كذلك، رأى السفير الفلسطيني لدى الأمم المتحدة رياض منصور، أن التصويت «هزيمة كبيرة» لواشنطن.

إلغاء جدول أعماله والقدوم إلى السعودية، لما للمصري من تأثير في اقتصاد الضفة، فإن مواقع عبرية ومحللين إسرائيليين قالوا إن السعوديين يضغطون من البداية على عباس لوقف هجومه على ترامب، وليظهر «الانفتاح على مناقشة الأفكار الأميركية لعملية السلام المتوقع تقديمها قريباً». وذكر أن الاجتماع الأخير لم يتطرق إلى مواجهة قرار ترامب على الإطلاق، وهو «ما ترك انطباعاً بأن السعوديين يريدون تحريك جدول الأعمال الأميركي لمواصلة العمل على خطة السلام».

في المقابل، نقل موقع فلسطيني محلي أمس حواراً مع اللواء السعودي السابق أنور عشقي، دافع فيه عن سلمان وابنه بالقول إنهما «لن يقبلا أي صفقات لحل القضية الفلسطينية بما في ذلك صفقة القرن التي يُعد لها ترامب إلا بشرط واحد هو عبر تطبيق المبادرة العربية التي صاغها الملك الراحل عبدالله». وعن الزيارة الأخيرة لعباس، قال إنها أتت بدعوة سعودية رسمية، وإن ابن سلمان أكد لـ«أبو مازن» أن «المملكة

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إنه يتوقع أن تسحب إدارة ترامب من دون إبطاء «قرارها المؤسف» بشأن القدس، مضيفاً: «يسمون الولايات المتحدة مهد الديمقراطية... هذا المهد يبحث عن شراء الإرادة بالدولار في العالم». كما قال في خطاب آخر قبل التصويت إنه يتوقع أن «يلقن العالم أميركا درساً جيداً».

في السياق، سارع مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، إلى إدانة الحدث، قائلاً إن «إسرائيل ترفض قرار الأمم المتحدة، وتعرب في الوقت نفسه عن ارتياحها للعدد الكبير من البلدان التي لم تصوت له، في أوروبا وأفريقيا وأميركا اللاتينية». وأضاف البيان: «تشكر إسرائيل الرئيس دونالد

بالواقع

أما عن «الأخبار غير السعيدة» التي نقلتها المملكة لعباس، فهي أن «إسرائيل لن تتنازل عن أي شيء يتعلق بالقدس أو اللاجئيين أو غور الأردن»، وأن على «أبو مازن» أن يقبل «العرض البديلة التي تمتثل في حصر العاصمة بالضواحي والقرى المحيطة للقدس شرقاً والتخلي عن طلب إنشاء العاصمة في البلدة القديمة». أما عن غور الأردن، فأبلغ رئيس السلطة أنه سيبقى «تحت سيطرة الاحتلال... مع إمكانية الذهاب إلى العرض الذي قدمه صهر ترامب، جاريد كوشنر، في هذا الشأن، وهو وجود قوات دولية على حدود منطقة أعوار الأردن، لكن الرئيس رفض هذا المقترح». كما أشارت إلى أن ابن سلمان طلب منه «إخماد شرارة الأحداث في الضفة خشية تمددها في المناطق الشرقية للقدس، طالباً منه التشديد على الهدوء في هذه المنطقة».

من جانب ثان، ورغم أن مواقع إسرائيلية ربطت احتجاج المملكة لرجل الأعمال الأردني، الفلسطيني، صبيح المصري، بالضغط على كل من عبدالله وعباس، وإلزام الأخير